جامعة المنصورة
كليـة الآداب

قصيدة الاعتذار والاستعطاف
بين النابغة الذبياني وابن زيدون

إعـــداد

د. آية محمد حلمي البادي

مدرس الأدب العربي القديم

كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة

العدد السابع والسبعون – أغسطس ٢٠٢٥

قصيدة الاعتذار والاستعطاف

بين النابغة الذبياني وابن زيدون

د. آية محمد حلمي البادي

مدرس الأدب العربي القديم

كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

ملخص البحث

تعد قصيدة الاعتذار والاستعطاف عند النابغة الذبياني وابن زيدون الأندلسي من القصائد التي لها أهمية كبيرة في تاريخ الشعر العربي؛ نتيجة للظروف التي قيلت فيها، وتصوير الحالة النفسية لكلا الشاعرين، وفن الاعتذار يعني القدرة على التعبير عن الندم والأسف على ارتكاب خطأ أو إساءة للآخرين، وإظهار الرغبة في إصلاح الأضرار والمسامحة، ويشمل الاعتذار اعترافًا بالخطأ، والتعبير عن الأسف، والالتزام بعدم تكراره في المستقبل. ومن خلال هذه المعاني أردت أن ألقي الضوء على قصيدة الاعتذار والاستعطاف عند كلا الشاعرين؛ مبينة اختلاف الباعث وراء هذه القصيدة، ومسلطة الضوء على أوجه الشبه، وأوجه الاختلاف بين الشاعرين، فالنابغة الذبياني يبدي من التذلل والخضوع ما تأباه النفس العربية تجاه النعمان بن المنذر، وابن زيدون يستعطف ابن جهور ولكنه استعطاف الأبيّ المحافظ على كرامته، ومن هنا جاء هذا البحث ليوازن بين قصيدة الاعتذار والاستعطاف بين الشاعرين من حيث اللغة والأسلوب والموسيقى والصور والأخيلة.

مفاتيح البحث: *قصيدة، الاعتذار، الاستعطاف، النابغة الذبياني، ابن زيدون، الموازنة*

Abstract

The apology and supplication poems by Al-Nabigha Al-Dhubyani and Ibn Zaydun Al-Andalusi hold significant importance in the history of Arabic poetry due to the circumstances under which they were composed and their vivid portrayal of the psychological states of both poets. The art of apology reflects the ability to express remorse and regret for a mistake or offence against others, coupled with a desire to make amends and seek forgiveness. An apology involves acknowledging the wrongdoing, expressing regret, and committing not to repeat the offence in the future. This study aims to shed light on the apology and supplication poems of both poets, highlighting the differing motivations behind each poem while also examining the similarities and differences between them. Al-Nabigha Al-Dhubyani exhibits a degree of humility and submission that is uncommon in the Arab psyche, particularly in his appeal to Al-Nu'man ibn Al-Mundhir. In contrast, Ibn Zaydun's plea to Ibn Jahwar is marked by a dignified tone that maintains his self-respect. Thus, this research provides a comparative analysis of the two poets' apology and supplication poems, focusing on aspects such as language, style, musicality, imagery, and symbolism.

Keywords: Poem; Apology; Supplication; Al-Nabigha Al-Dhubyani; Ibn Zaydun; Comparative Analysis.

مقدمـــــة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد...

فقد ارتبطت قصيدة الاعتذار والاستعطاف في الشعر القديم بعوامل كثيرة؛ منها ما يرتبط ببيئة الشاعر ونفسيته وطبيعة حياته ارتباطًا عميقًا؛ ومنها ما يرتبط بمكانته في قومه وديانته وغير ذلك، فظهرت فيها ملامح عامة وسمات خاصة من حيث اللغة والأسلوب والصور والأخيلة. واعتذاريات النابغة الذبياني وابن

زيدون الأندلسي قصائد لها أهمية عظيمة؛ فهي وليدة ظروف خاصة، وقيلت تحت ضغط نفسي شديد، وهي لشاعرين كبيرين عاش الأول في العصر الجاهلي، وعاش الآخر في عصر الطوائف بالأندلس، ورأت الباحثة أن في دراسة الاعتذار والاستعطاف لهذين الشاعرين فائدة فنية وتاريخية وأدبية عظيمة، فدرستهما وقارنت بينهما باستخدام أدوات المنهج الوصفي التحليلي لتصل في النهاية إلى أوجه الشبه والاختلاف بين الشاعرين في أساليب الاعتذار وطرقه فنيًا ولغويًا.

ويعد الاعتذار والاستعطاف من أغراض الشعر وفنونه[١]، "ولم يخل أيُّ عصرٍ من عصور الأدب العربي من شاعرٍ أو أكثر نَظَموا الشعر استعطافًا أو اعتذارًا عمّا تورطوا فيه من إساءةٍ كالهجاء مثلاً، أو مما نسب إليهم زورًا وبهتانًا بحق ملكٍ أو ذي سلطان بباعث الوشاية أو الغيرة أو الحسد أو ما أشبه ذلك."[٢]

وأما عن سبب اختياري فقد لفت نظري وأنا أقوم بتدريس الشعر الجاهلي قصيدةٌ من قصائد النابغة الذبياني في فن الاعتذار والاستعطاف، فأحببت أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع، فوجدته قد نشأ في العصر الجاهلي، ثم تطور تطورًا ملحوظًا مع مرور الوقت حتى رأيناه في عصر ملوك الطوائف بالأندلس قد اكتمل على يد ابن زيدون، فأردت أن أدرسه عند النابغة الذبياني وابن زيدون؛ وهما شاعران من شعراء العرب، كل منهما يشبه الآخر في أشياء، ويختلف عنه في أشياء أخرى، معتمدة على المنهج الوصفي الذي يقوم على التحليل والمقارنة والموازنة بين الشاعرين.

وأما الدراسات السابقة فكانت حول كل شاعر وحده دون التطرق إلى الإلمام بقصيدة الاعتذار والاستعطاف عند كلا الشاعرين، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

وقد اضطرت طبيعة الدراسة الباحثة إلى تقسيم الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وألحقتها بخاتمة؛ تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع، وقد ضم التمهيد تعريفًا بشعر الاعتذار والاستعطاف لغةً واصطلاحًا، والفرق بينهما، وقدمت نبذة مختصرة لهذا اللون من الشعر قبل الشاعرين، عرفت فيه بنشأة هذا الشعر وتطوره، وتضمن المبحث الأول "قصيدة الاعتذار والاستعطاف عند النابغة". وتضمن المبحث الثاني "قصيدة الاعتذار والاستعطاف عند ابن زيدون". أمّا

[١] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت،(د.ت)، ٨٠١.

[٢] عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، ٢٣٠.

المبحث الثالث فدرست فيه الباحثة "الموازنة بين الشاعرين"، من حيث الباعث واللغة والأسلوب والصور والأخيلة، ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها، وأتبعتها بثبت مصادر البحث ومراجعه.

التمهـــيد:

يُقصد بالاعتذار لغةً: إظهار ما يسقط اللوم، ففي "اللسان": "الاعتذار محو أثر الذنب".[٣] وفي "المخصص"عذر: الحجة التي يعتذر بها، والجمع أعذار؛ يقال: اعتذر فلان اعتذارًا وعذرةً ومعذرةً من دينه فعذرته، وعذره يعذرُه (يعذرِه) فيما صنع عذرًا، وعذرة وعذرى ومعذُرة (معذرة)...ولي في الأمر عذرٌ وعذرى أي خروج من الذنب."[٤]

وأما الاستعطاف فهو مصدر الفعل المزيد استعطف، ومن معاني الزيادة في صيغة الفعل السؤال والطلب، فنقول: استعطفه استعطافًا: سأله أن يعطف عليه[٥].

وفن الاعتذار يعني القدرة على التعبير عن الندم والأسف على ارتكاب خطأ أو إساءة للآخرين، وإظهار الرغبة في إصلاح الأضرار والمسامحة ويشمل الاعتذار اعترافًا بالخطأ، والتعبير عن الأسف، والالتزام بعدم تكراره في المستقبل.

والاعتذار من الفنون اللافتة في شعرنا العربي، التي ظهرت في فترة مبكرة منه، وغرضه هو الحصول على العفو، وهو من الأغراض الصعبة التي برع فيه قلة من شعراء العرب الذين أتقنوا أداءه بقرائح مليئة بالمعاني الشعرية، والأساليب القادرة على الإقناع، ونيل رضا المخاطب، وهو فن يتماس كثيرًا مع غرض المدح، وفصله عنه جاء لأن الاعتذار فيه يغلب على المدح.

والاعتذار هو استعطاف واسترحام موجه بذكاء وبمهارة لنيل رضا المخاطب، يبين فيه الشاعر أسفه وندمه على ما بدر منه، أو خوفه وحزنه من غضب المخاطب، ويقدمه الشاعر بعرض ملائم ومبني بأسلوب فني متقن فيه مهارة في القول وتفنن في الشعر.

ويبدو أن هذا الفن كان قليلاً في الشعر الجاهلي ولعل سبب قِلَّته أنه "يأتي عادة لأنه نتيجة ضعف، لأن الشاعر فيه يُظهر الندم على فعل حدث، أو حال وقعت، ويريد أن يبرئ نفسه، لينجو من اللوم، أو يحاول إصلاح الحال، بتفسير أو شرح معقول لها، لكي يرجع الأمور إلى مجراها العادي."[٦]

---

[٣] ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت ١٤١٤هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ج٥، مادة (عذر).

[٤] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ)، المخصص، ت خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت،١٩٩٦م، ج٤، ص٥٣.

[٥] الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ٦/ ٢٠٠.

وأما فن الاستعطاف فلا نكاد نجد تعريفًا واضحًا له في المصادر القديمة أو المراجع الحديثة، ولكن نستطيع أن نقول: إنه الشعر الذي يبثه الشاعر إلى شخص ما لاستمالة قلبه، واستدرار عطفه، آملاً أن يعفو عنه، ويخلصه مما وقع فيه من عنت وحرمان.

وقد قرنه النويري بالاعتذار[٧]، وكذلك الدكتور عبد العزيز عتيق الذي قال عنه: (ويقال له أحيانًا الاعتذار)[٨]، ومن ثَمّ نستطيع أن نقول إن كل شعر قيل في الاعتذار يدخل ضمن شعر الاستعطاف، والعكس ليس صحيحًا، فالشاعر المعتذر يلح دائمًا على من يخاطبه لإلانة قلبه وقبول اعتذاره ومن ثم العفو عنه، ولا يأتي ذلك إلا بعد العطف عليه والرحمة به، والاستعطاف ليس بالضرورة أن يسبقه اعتذار، وكأن الشاعر أراد أن يتناسى الجرم الذي ارتكبه أو رمي به زورًا أو بهتانًا. كما أن هناك ضروبًا من الاستعطاف لا تحتاج إلى اعتذار كالفقير الذي يستعطف الغني للحصول على مال أو متاع.

وأما المعتذَر إليهم والمستعطَفون فهم من أصحاب الجاه والسلطان كالحكام والملوك والرؤساء وأصحاب النفوذ وغيرهم، ومنهم من تأثر بالاعتذار والاستعطاف فقبل العذر وعفا عن المعتذِر بسعة صدر ودماثة خلق، فلا عذر في رد الاعتذار، والمعتذِر من الذنب كمن لا ذنب له[٩]، ولذا يقول الإمام علي بن أبي طالب:" أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة."[١٠]

يُعد النابغة الذبياني أمير الشعراء في العصر الجاهلي في فني الاعتذار والاستعطاف، فقد قيل إن أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المدح والهجاء، والوصف والنسيب والمراثي، حتى زاد النابغة قسمًا سادسًا هو الاعتذار فأحسن فيه،[١١] وقد طَرَقَ الشعراء منذ العصر الجاهلي أبواب فن الاعتذار في شعرهم حتى يستردوا ثقة الممدوح، أو ليتقوا انتقام صاحب سلطة أو قوة، ليبذلوا جهدهم لإثبات براءتهم مما نسب إليهم، أو ندمهم من أمور قاموا بفعلها.

ويحمل أدب الاعتذار بالشعر والنثر روائع أدبية كثيرة فيها عمق في وصف الأحداث والموضوعات، ولشعر الاعتذار أهمية خاصة لأنه يكشف عن مدى قوة شعرية الشاعر المعتذِر، ويكشف عما يؤثر فيه،

---

[٦] علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ط١، مكتبة دار التراث،١٩٩١م، ص٤٠٥.

[٧] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ت)، ٣/ ٢٥٨.

[٨] عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٧٦، ص٢٣٠

[٩] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣/ ٢٥٩.

[١٠] السابق، ٣/ ٢٥٨.

[١١] أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ط١، دار الجيل، بيروت، د ت، ج١، ص٢١٨، ٩١.

وعن بلاغته وفطنته ومهارته في تطويع الشعر ليحمل حججه لنيل رضا المخاطَب، فهو شعر يحمل سمات أدبية تعبر عن صدق الشاعر، وعن مدى قدرته على إقناع المخاطَب بصدق اعتذاره، فضلاً عن تجديد المضامين والرؤى والأشكال، وهو شعر مرتبط بواقع قضايا الإنسان والمجتمع.

ولم يكن النابغة الذبياني أول من تكلم في هذا الموضوع، فقد سبقه علقمة الفحل الذي كان معاصرًا لامرئ القيس، وله معه مساجلات، حيث أسر الحارث بن شمر الغساني أخًا لعلقمة اسمه (شاس) فاستعطفه بقصيدة تضمنت مدح الحارث وطلب الشفاعة لأخيه، فأطلق سراحه وقبل الشفاعة وأكرمه ومن ذلك[١٢]: من الطويل

إلى الحارث الوهاب أعملتُ ناقتي ... لكلكلها والقصريين وجيب

إليك – أبيت اللعن – كان وجيفها ... بمشتبهات هولهن مهيب

فلا تحرمني نائلا عن جناية ... فإني امرؤ وسط القباب غريب

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ... فحق لشاس من نداك ذنوب

فقال الحارث: نعم وأذنِبة، وأطلق له شاسا أخاه وجماعة من أسرى بني تميم، ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم[١٣]. ومع ذلك لم يبلغ مبلغ النابغة وشعره، مما جعل الأقدمين يعدون النابغة رائد شعر الاستعطاف والاعتذار[١٤].

وأما ابن زيدون فهو أشعر شعراء الأندلس في عصر الطوائف، كانت له صولات وجولات في الاعتذار والاستعطاف مع ابن جهور حاكم قرطبة تارةً، والوسطاء من الأصدقاء والأحباب تارةً أخرى، حتى عُد ابن زيدون من أشهر شعراء الأندلس في فن الاستعطاف.

وقد سبق ابن زيدون في هذا الغرض شعراء أندلسيون، كما عاصره آخرون، فمن الشعراء الذين سبقوه في فترة الحجابة العامرية عبد الملك بن إدريس الجزيري الذي سجنه المنصور بن أبي عامر في سجن "المطبق" الواقع في منطقة مرتفعة؛ لأنه عارضه لما استبد بالحكم، وحجر على الخليفة هشام المؤيد، فاستعطفه الشاعر وعطف عليه المنصور وأطلق سراحه.

---

[١٢] ديوان علقمة الفحل، تحقيق سعيد نسيب مكارم، دار صادر، بيروت، ص٢٣ وما بعدها.

[١٣] ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥ ،١/ ٥٧.

[١٤] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب

وأما الحاجب الوزير الأديب الأندلسي جعفر بن عثمان المصحفي فقد استعطف المنصور بن أبي عامر بشعر يذيب القلب، أعرب فيه عن ندمه على إساءته، وأنه رجل كبير في السن، وطلب العفو والصفح، فالعفو والرحمة من سمات الملوك[١٥]: من بحر البسيط

هبني أسأت فأين العفو والكـــرم إذ قادني نحوك الإذعان والندم

يا خير من مدت الأيدي إليه أما ترثي لشيخ نعاه عندك القلم

بالغتَ في السخط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

وأما شعراء الاعتذار والاستعطاف الذين عاصروا ابن زيدون في عصر ملوك الطوائف بالأندلس فنذكر منهم الشاعر ابن عمار الذي قربه إليه المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية ولكنه تمرد عليه، وعرّض بزوجته (اعتماد الرميكية) فقبض عليه المعتمد وقتله، فكان الاعتذار والاستعطاف من جانب ابن عمار لكن دون جدوى[١٦].

وكذلك الشاعر الملك المعتمد بن عباد الذي وقع أسيرًا في يد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين الذي سجنه في سجن أغمات بالمغرب، فأنشده المعتمد بكثير من أشعاره يطلب منه العفو والمسامحة ولكن يوسف لم يلتفت إليه حتى مات في سجنه.

وهكذا وجدنا النابغة الذبياني يسطر باعتذارياته إلى النعمان فنًا جديدًا في الأدب العربي، احتل منه مكانةً تشرئب إليها أعناق الشعر في موكبه على طول التاريخ. ثم يأتي بعده شعراء إسلاميون حملوا لواء هذا الفن حتى وصلنا إلى عصر ملوك الطوائف بالأندلس لنجد ابن زيدون بكبريائه وشموخه يُسهم في تطور هذا الفن نظرًا للظروف التي مر بها في حياته فيبدع لنا قصائد في الاستعطاف سنركز على ثلاثٍ منها وثلاثٍ من قصائد النابغة في هذه الدراسة.

المبحث الأول: قصيدة الاعتذار والاستعطاف عند النابغة الذبياني

يعد النابغة الذبياني[١٧]رجل السياسة المحنك، ولسان القبيلة الناصح الموجه، وطالب النعمة والثراء الطموح، ورائد فن الاعتذار في الشعر العربي؛ فقد اعتذر إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة واستعطفه[١٨]،

[١٥] ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ ، ١/ ٢٦٥.

[١٦] ينظر: محمد البادي: شعر ابن عمار الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

[١٧] هو أبو أمامة، زياد بن معاوية، من أهل الحجاز، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان يفد على النعمان بن المنذر ويمدحه، وكانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء؛ فتعرض عليها أشعارها، توفي في عام

وكان النابغة يفد إليه ويمدحه حتى أوقع الغساسنة بذبيان وأحلافهم من بني أسد، وأسروا رجالا منهم، وسبوا نساء كانت منهن ابنة للنابغة، فذهب النابغة إلى بلاط الغساسنة ومدحهم، والتمس منهم إطلاق الأسرى والسبايا، ويشير إلى انتصار الغساسنة القديم في يوم حليمة[١٩] الذي هُزم فيه المناذرة، وقُتل ملكهم المنذر بن ماء السماء، فكافأ الغساسنة النابغة بإطلاق الأسرى والسبايا، ويعلم النعمان بن المنذر بما فعله النابغة، وخاصة مدحه الغساسنة، وإشارته ليوم حليمة، فيغضب عليه غضبًا شديدًا "حيث كان يتخذه داعية له في قومه، وكان يرى في نزوله بالغساسنة أعدائه التقليديين ما يدفع بذبيان إلى أن تخرج على ولائها له، فهذا شاعرها وشريفها النابغة يلج في مديح خصومه، وكأنه يعلن بذلك ولاءه، وولاء قبيلته لهم."[٢٠]

ويستغل كارهو النابغة وحساده في بلاط النعمان هذه المناسبة؛ فحاكوا الإشاعات والأكاذيب حول النابغة، ليوغروا صدر النعمان ضده، ونجحوا في ذلك، وعندما عاد النابغة من بلاط الغساسنة، وأراد أن يعود إلى النعمان أدرك ما فعله من ذنب تجاه مليكه، وما نسجه الوشاة ضده، فأراد أن يدافع عن نفسه بقصائد صارت من أعظم شعر النابغة في فن الاعتذار والاستعطاف.

جاء اعتذار النابغة واستعطافه في ثلاث قصائد عرفت باسم (الاعتذاريات)، حيث يصور حالته النفسية عندما علم بوعيد النعمان وتهديده، تحمل القصيدة الأولى قافية العين بدأها بوصف حالته التي أصابها الهم والغم بعد أن علم بوعيد النعمان له، حيث يقول[٢١]: من بحر الطويل

وعيدُ أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكسٌ فالضواجعُ

فبتُ كأني ساورتني ضئيلةً من الرقش في أنيابها السم ناقع

٦٠٤م. ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف مصر، ١٥٧/١. والأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١، ٥٤/٣.

[١٨] هو أبو قابوس، من ملوك الحيرة، ولي الحكم اثنتين وعشرين سنة، كان رجلا ذميما، قصيرا، أبرش، وهو صاحب يومي البؤس والنعيم، نقم عليه كسرى فعزله وسجنه إلى أن مات عام ٦٠٨م، وقيل ألقاه تحت أرجل الفيلة إلى أن هلك. ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار صادر بيروت/ ٤٨٣/١. والأعلام للزركلي، ٤٣/٨.

[١٩] يوم حليمة كان بين غسان ولخم، وضرب به المثل في كل أمر مشهور فقيل: (ما يوم حليمة بسر)لانتصار الغساسنة ومقتل المنذر الثالث، وحليمة هي ابنة الحارث بن جبلة ملك غسان. ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط٢٧، ص٥٠٧.

[٢٠] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ٢٧١.

[٢١] ديوان النابغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرف، مصر، الطبع الثانية، ص٣٢ وما بعدها

يُسهّدُ من ليل التمام سليمهـــــا لحلي النسـاء في يديه قعاقع
تناذرها الراقون من سوء سمهـــــا تُطلقـه طورا وطورا تُراجع
أتاني – أبيتَ اللعن – أنك لُمتَني وتلك التي تستكّ منها المسامع
مقالةَ أن قد قلتَ سوف أنالُــه وذلك من تلقـاء مثلك رائع

فالنابغة يسلك في هذا الاعتذار مسلكًا يحاول به أن يصل إلى قلب النعمان ليستل ما انطوى عليه هذا القلب من غضب، فنراه يبرهن على براءته من التهم التي وجهت إليه من الحاقدين والحاسدين، حيث أخبرنا في هذه الأبيات بأن وعيد النعمان قد أتاه وهو بعيد عنه في مكان أمين بين قومه، أتاه وبينهما مسافات شاسعة ومواضع عديدة ومع ذلك فإن هذا الوعيد أقلقه، وأسقم نفسه، فبات مسهدا، كأنما عضته أفعى شديدة السم، لا يبرأ عليل من سمها مهما عالجه الراقون، وعلقوا الحلي في يديه، حتى لا ينام فيسري السم في جسده، وتكمن خطورة هذه الأفعى في "قَلّما استجابت للرقي، فالراقون يرهبونها، ويتخوفون من أن يطأوا حماها، ويخاطب النابغة النعمان متسائلا عن سبب ملامته له، تلك الملامة التي أصمت مسامعه كراهة لسماعها."[٢٢]

إن وعيد النعمان وتهديده للشاعر بمثابة الأفعى الضئيلة الرقشاء التي يحذر ذوو الخبرة من سمها، والألم الذي يعانيه منها هو نفس الألم الذي يلدغ قلب الشاعر ويلدغ نفسه[٢٣]، فقد صور النابغة ما انتابه من قلق وألم من وعيد النعمان، وحاول بكل ما يملك أن يبرأ نفسه مما ألص به زورًا وبهتانًا، ومبالغة النابغة في إظهار سطوة النعمان يقصدها النابغة قصدًا ويعرف أنها ترضي كبرياء النعمان، وتمهد لرضا قلبه وإلانته، ومن ثم العطف عليه.

إن حالة الشاعر جراء تهديد النعمان ووعيده له أمست سيئة، ومن ثم يصور تلك الحالة التي وصل إليها طمعًا في استدرار عطف النعمان ورضاه لتعود العلاقات بينهما كما كانت من قبل، ولذلك يقسم بحياته الغالية أنّ ما رماه به الوشاة والحاقدون كان باطلاً: من الطويل

لعمري وما عمري علي بهين لقد نطقت بطلا عليّ الأقارع
أقارعُ عوف لا أحاول غيرها وجوهَ قرود تبتغي من تجادع
أتاك امرؤ مستبطن لي بغضة له من عدوّ مثل ذلك شافع

[٢٢] علي نجيب عطوي: النابغة الذبياني، شاعر المديح والاعتذار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص١٤١.
[٢٣] كان المبرد يعجب بهذا المعنى، ويعلق عليه مستحسنا بقوله:"فهذه صفة الخائف المهموم"، الكامل ٢/ ٨٩.

أتاك بقول هلهل النسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع
أتاك بقول لم أكن لأقوله ولو كبلت في ساعديّ الجوامع
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع
لكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العرّ يكوى غيره وهو راتع

ففي هذه المرحلة من القصيدة يبرهن على أنّ الذين أوغروا قلبه من بني قريع كاذبون، وجعلهم الشاعر في صورة القرود قبحًا وبشاعةً ولؤمًا؛ لأنهم جاءوا بحديث ملفق غير متماسك كالثوب المهلهل، فهذا الحديث لا يصدر عن النابغة ولو أرغم عليه، أو وضعوا في يديه القيود والسلاسل، ويقسم على ذلك قسمًا يزيل من نفسه كل ظل للشك في براءته فهو مظلوم وظالمه حر طليق يرتع في حمى الملك، ويتمتع بعطفه، ويضرب لذلك مثلاً بالبعير الصحيح الذي يكوى بالنار، بينما يترك الأجرب يرتع ويتمتع بالنعمة، فحري بالنعمان أن ينزل غضبه على هؤلاء الوشاة، وليس على الشاعر البريء.

ولما لم يجد النابغة قلب النعمان لم ينفتح بعد، نراه يسلك سبيلا أخرى غير البرهنة والحلف، وذلك عن طريق مداعبة هذا القلب واستعطافه بإظهار منتهى اليأس من الهروب من سطوته؛ لأن الملك سيظفر به حتما كالليل الذي يدرك الكون فيغشاه بظلمته، فمهما خيل للشاعر أنه بعيد عن أذى النعمان لبعد المسافة بينهما يشعر دائما بأنه مشدود بخطاطيف في حبال قوية يجر بها.

ثم يطمع الشاعر في عطف سيده لأنه أكرم الناس وأسخاهم قائلا له: فليكن عفوك من نبع حياتك وفضلك، وأنت قادر على هذا قدرتك على البطش بالنفوس وإتلافها، والعفو منك أجمل، وأليق بمقامك، وأقرب إلى مرضاة الله، الذي يأبى إلا العدل والوفاء، وهما منك إليّ معروف لا يضيع ويد لا تنسى[٢٤].

يقول: من الطويل

فإنٍ كنت لا ذو الضغن عني مكذب ولا حلفي على البـــراءة نافع
ولا أنا مأمـون بشيء أقولـــــه وأنت بأمر لا محـــالة واقع
فإنك كالليـل الذي هو مــدركـي وإن خلت أن المنتأى عنـك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد إليـــك نوازع
أتوعد عبـدا لم يخنك أمـــانة وتترك عبدا ظالما وهو ظالع
وأنت ربيع ينعش الناس سيبـــه وسيف أعيرته المنيــة قاطع

[٢٤] صلاح الهادي: أمراء الشعر في العصر الجاهلي، مكتبة الشباب، ص٢٧٣،

أبى الله إلا عدلــه ووفـــــاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

وهكذا يتفنن النابغة إظهار خوفه ورهبته من النعمان بكل السبل؛ تارةً عن طريق الحلف والقسم بحياته، وتارةً أخرى عن طريق التذلل والاعتذار، وفي هذا الاعتذار يبدع النابغة صورًا في غاية الجمال منها الصورة الرائعة التي يشبه فيها الشاعر النعمان بالليل الذي لا مفر من مجيئه وإدراكه. والنابغة يعرف تمامًا نفسية النعمان التي تتعطش إلى التملق والتهويل في رفعة شأنه وقوة سلطانه ومن ثم ولج النابغة إلى نفس النعمان.

ونترك هذه القصيدة العينية التي أشار فيها النابغة إلى وشاية بني قريع وإلصاق التهم والمقالة الكاذبة المنسوبة إليه ومحاولة التصدي لهذه التهم وإظهار التذلل والاعتذار واستدرار عطف النعمان إلى قصيدة أخرى من اعتذارياته، وهي إحدى روائعه الثلاث في فن الاعتذار[٢٥]: من الطويل

أتاني –أبيت اللعن– أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنضب
فبتّ كأن العائدات فرشنني هراسا به يملى فراشي ويقشب
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بُلغت عني خيانة لَمُبلغُك الواشي أغشّ وأكذب
ولكنني كنت امرءا لي جانب من الأرض فيه مسترادٍ ومذهب
ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أُحَكّم في أموالهم وأُقَرّب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذهب
فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطليّ به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
ولستَ بمستبق أخا لا تلمه على شعث أيّ الرجال المهذب
فإن أكُ مظلوما فعبد ظلمتَه وإن تك ذا عُتبى فمثلك يعتب

ففي هذه البائية يعرف النابغة الطريق إلى قلب النعمان ليستميله، ويستل الغضب منه عن طريق هذه الأبيات التي تصوره وقد أصيب بالحرمان من الراحة والهدوء؛ فأضحى مريضا، ثم يضيف إلى المرض ذلك الفراش الذي ينام عليه وقد خلط بالشوك فلم يعرف للراحة طعما.

[٢٥] ديوان النابغة، ٧٢ وما بعدها، وشعراء النصرانية: لويس شيخو، ص٦٥٥.

فصورة المريض والآلام المبرحة التي يعانيها والشوك الذي ينام عليه ما هو إلا آلام النابغة والهموم التي لحقت به بعد أن علم بغضب النعمان عليه، ثم أخذ يعتذر عما بدر منه أو اتهم به، فراح يبرئ نفسه من الخيانة التي لحقته، ولذلك يطلب من النعمان ألا يلتفت إلى تلك الدسائس والأكاذيب التي رمي بها لأنه بريء منها، وأن هذه التهم لا أساس لها من الصحة فمن قام بها هو أغش الناس وأكذبهم.

إن كل ما فعله النابغة اتصاله بالغساسنة، وهذه ليست تهمة تستوجب العقاب، وإنما هي صداقة ووفاء لمن وقفوا بجواره وأطلقوا سراح أخيه شاس من قبل، فهذه الصلة بالغساسنة لا تعد خيانة، وإنما ينظر إليها على أنها صداقة، ولا يجوز أن يكون الوفاء والعرفان بالفضل جريمة يؤاخذ عليها.

ويستمر النابغة في التذلل للنعمان ليرضي غروره، فيبالغ في تصوير هيبته وعظيم سلطانه وقوته لدرجة أن وعيده جعل النابغة منبوذا بين الناس كأنه بعير أجرب يفر الناس منه، ثم يصور الشاعر مليكه بالهيبة القوية التي تقع في نفوس العامة والملوك، فهو شمس وسائر الملوك كواكب إذا بدا حجبهم جميعا.

ثم ينصح الشاعر الملك بنصيحة مؤداها أن كل الناس خطاؤون، وما من أحد يهفو هفوة أو يخطأ خطأ إلا ويطلب العفو والمغفرة وخاصة بين الأصدقاء، ولما علم النابغة بأن قلب النعمان قد استجاب لهذا التذلل والاعتذار أعلن أنه راض بحكم مليكه وإن كان مظلوما، فليس للعبد أن يتبرم أو يشكو أو يعترض على ظلم سيده.

فهذه القصيدة وسابقتها أراد النابغة من خلالهما أن يعتذر للنعمان ويكتسب عفوه بصور كثيرة لحالته، وبث الآلام في نفسه، ففراش الشوك ما هو إلا صورة للآلام النفسية التي يعانيها الشاعر، وكذلك الأفعى الضئيلة الرقشاء التي هددته تصور الألم النفسي الذي كان يعانيه.

أما القصيدة الثالثة التي تمثل فن الاعتذار عند النابغة فهي معلقته المشهورة التي مطلعها[٢٦]: من البسيط

يا دار مية بالعليــاء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

وفيها يقول معتذرًا للنعمان بعد أن مدحه بأبيات كثيرة:

أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا فرار على زأر من الأسد

مهلا فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد

لا تقذفني بركن لا كفاء له وإن تأثفك الأعــداء بالرفد

[٢٦] ديوان النابغة، ص ٢٦ وما بعدها.

هذا الثناء فإن تسمع به حسنا فلم أعرض–أبيت اللعن– بالصفد

إن ذي عذرة ألّا تكن نفعت فإن صاحبـها مشارك النكد

فهذه الدالية والقصيدتان السابقتان تحمل سمات شعر النابغة في فن الاعتذار، وتعد أمهات هذا الفن في الشعر العربي، ومن ثم يقول ابن رشيق:"وأجل ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب قصائد النابغة الثلاث..."[٢٧]، كما أن هذه الاعتذارية الدالية بها أبيات في الاعتذار تبهر العقول وتلفت الأنظار، وتجري مجرى الأمثال، مثل:

أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا فرار على زأر من الأسد

وكان حماد الراوية بعجب بهذين البيتين أيما إعجاب، ويقدم النابغة من أجلهما[٢٨]:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

ولستَ بمستبق أخا لا تلمه وعلى شعث أي الرجال المهذب

قيل سئل حماد: بأي شيء فضل النابغة؟ فقال: إن النابغة إن تمثلت ببيت من شعره اكتفيت به، مثل قوله:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

بل لو تمثلت بنصف بيت من شعره اكتفيت به، وهو قوله:

..... وليس وراء الله للمرء مذهب

بل لو تمثلت بربع بيت من شعره اكتفيت به، وهو قوله:

....أي الرجال المهذب

وهكذا سطر النابغة باعتذارياته إلى النعمان فنًا جديدًا في الأدب العربي[٢٩]، فجاء مَن بعده وأخذ عنه، وسار على نهجه، فاشتهر الفن وذاع صيته، وعُد النابغة قدوة لشعراء الاعتذار والاستعطاف. حتى إذا وصلنا إلى القرن الخامس الهجري وخاصةً في بلاد الأندلس وجدنا ابن زيدون أشهر شعراء عصر ملوك الطوائف يتبوأ مكانةً مرموقةً في فن الاعتذار والاستعطاف وهذا ما يقدمه المبحث الثاني.

[٢٧] ابن رشيق: العمدة، ٢/ ١٤٣.

[٢٨] ينظر: العمدة لابن رشيق١٩١/٢، والأغاني للأصفهاني ١٥٦/٩، وشعراء النصرانية لويس شيخو ٦٥٦.

[٢٩] ينظر: صلاح الهادي: أمراء الشعر في العصر الجاهلي، مكتبة الشباب ٢٩١.

المبحث الثاني: قصيدة الاعتذار والاستعطاف عند ابن زيدون

هو أبو الوليد بن زيدون[٣٠]، ذو الوزارتين، وهذا لقب منحه إياه أبو الحزم بن جهور[٣١]، وهذا لقب يحصل عليه كل وزير "يعمل مع الملك في تدبير الملك، ويتولى عنه بعض الشئون من جيش أو جباية، فيكون تصرفه في شئون الرعية بالقول والفعل،"[٣٢] وظلت العلاقة بينهما حسنة إلى أن وقع لابن زيدون طلب صيره إلى الاعتقال[٣٣]، وتتفق جل المصادر على أنّ ابن زيدون "سُجن بتأثير الوشايات من أعدائه وحُسّاده، أما نوع هذه الوشايات فغامض مجهول لم يعرف على جهة القطع،"[٣٤] بيد أنّ بعض الباحثين المحدثين يرون أسبابًا لحبس ابن زيدون ومنها: "اتهامه بالاستيلاء على عقار لبعض مواليه بعد وفاته،"[٣٥] ومنها كذلك: "هجاؤه المقذع لابن عبدوس غريمه في حب ولادة"[٣٦]، ومنها كذلك: "تعطش ابن زيدون للمجد، وتسويلها له بالانقلاب على أبي الحزم، واستخلاص الأمر لنفسه، مستغلاً حنين الناس إلى الخلافة الأموية، وتذمرهم من حكم أبي الحزم الذي أسهم ابن زيدون في صنعه، وأسهم في رفعه[٣٧]." ونحن نميل إلى هذا السبب ونتفق مع الدكتور الدقاق "لأن أشد ما يخشاه الحكام هو تطلع من حولهم إلى السلطة، وهم لا يتورعون عند الضرورة عن ضرب أقرب المقربين إليهم، ولو كانوا أخوة لهم بل أبناء."[٣٨]

---

[٣٠] أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زبدون المخزومي، وزير وكاتب وشاعر، من أهل قرطبة ولد عام ٣٩٤هـ، وكان نقطعا إلى حاكم قرطبة أبي الحزم بن جهور حتى تغير عليه وحبسه، واستعطفع ابن زيدون دون جدوى فهرب من سجنه واتصل بالمعتضد بن عباد ملك أشبيليه فولاه وزارته وتوفي هناك سنة ٤٦٣هـ. ينظر: حذوة المقتبس للحميدي ١/ ٢٠٥، وبغية الملتمس للضبي ١٨٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/ ٢٤٠، الأعلام للزركلي ١/ ١٥٨.

[٣١] أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور، ولد عام ٣٦٤هـ، ولي الوزارة أيام بني عامر حتى زالت دولتهم، وبايع هشاما المعتد مع أهل قرطبة، ولما خلع هشام سنة ٤٢٢هـ استقل أبو الحزم بقرطبة وتوفي عام ٤٣٥هـ، ينظر: مطمح الأنفس لابن خاقان ١٥٣- ١٦٦.

[٣٢] إبراهيم أبو خشب: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٦٦، ص ٣٤١.

[٣٣] ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، (د.ت)، ١/ ٦٣.

[٣٤] حسن جاد حسن: ابن زيدون، عصره- حياته- أدبه، المطبعة المنيرية- مصر ١٩٥٥، ٦٦.

[٣٥] شوقي ضيف: ابن زيدون، دار المعارف، ط٩،(د.ت)، ص٢٥، سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ١/ ٥١٤.

[٣٦] عبد الله أنيس الطباع: القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الدانية، دار ابن زيدون، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص١٨٠.

[٣٧] عمر الدقاق: ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرف، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ص ١٣٥.

[٣٨] السابق: ص١٣٥.

ويلمح ابن زيدون في شعره إلى سبب اعتقاله، ويبين أنه ارتكب ذنبًا غير متعمد، فقام أعداؤه وحُسّاده بتهويل أمره، وإظهاره بمظهر الذنب العظيم الذي لا يغتفر قائلاً[٣٩]: من الطويل

ومثلي قد تهفو به نشـوة الصبا ومثلك من يعفو وما لك من مثل

هي النعلُ زلت بي فهل أنت مكذب لقيل الأعادي أنها زلـة الحِسل

ومهما يكن من أمر فقد سجن ابن زيدون كما قال في رسالته الجدية التي خاطب بها أبا الحزم ابن جهور بسبب "نميمة أهداها كاشح، ونبأ جاء به فاسق،"[٤٠] وظل في سجنه يستعطف أبا الحزم ابن جهور خمسمئة يوم كما أشار في شعره[٤١]: من الخفيف

أفصبر مئين خمسا من الأيا م ناهيك عن عذاب أليم

ويقول أيضًا بعد أن فر من سجنه[٤٢]: من الطويل

مئين من الأيام خمس قطعتها أسير؛ وإن لم يبد شدّ ولا قمط

إذن فقد مكث ابن زيدون في سجنه ستة عشر شهرًا وعشرين يومًا تقريبًا يستعطف أبا الحزم ابن جهور ويعتذر إليه محاولاً بكل السبل أن يبرئ نفسه من التهم التي رمي بها من الوشاة والحاسدين، وأن يرقق قلبه أو يستدر رحمته في قصائد من أجمل شعر ابن زيدون على الإطلاق، فقال عن الوشاة[٤٣]: من الكامل

كأن الوشاة –وقد منيت بإفكهم– أسباط يعقوب وكنت الذيبا

ويبرئ نفسه من حقد الحاقدين عليه، واشتعال نيران حسدهم بسبب تقدم ابن زيدون عليهم بعلمه وأدبه فاتهموه بأمور باطلة لم تصدر عنه قط[٤٤]: من الطويل

بلغت المدى إذ قصروا فقلوبهم مكامن أضغان أساودها رقط

---

[٣٩] ديوان ابن زيدون ورسائله: شرح وتحقيق علي عبد العظيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٢٦٩. والحسل بكر الحاء ولد الضب

[٤٠] ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، قسم ١، مجلد ١، ص٣٤٠– ٢٤٦. وديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧م، ٦٨٠– ٧١٥.، جودت الركابي:في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط٢، (د.ت)، ٢٦٦– ٢٨١.

[٤١] ديوان ابن زيدون، ص٢٨٢

[٤٢] ديوان ابن زيدون، ص٢٨٩.

[٤٣] ديوان ابن زيدون، ص٣٣٠

[٤٤] السابق، ٢٩١

وقد وسموني بالتي لست أهلها ولم يمن أمثالي بأمثالها قط

وأما قصائد الاعتذار والاستعطاف لدى ابن زيدون فكثيرة ومتنوعة؛ تارةً يتوجه بالاعتذار والاستعطاف إلى أبي الحزم نفسه، وتارةً أخرى يأتي بوسيط من أصدقائه ليتشفع له عند أبي الحزم، ففي النوع الأول نكتفي بقصيدتيه الرائية واللامية، وفي النوع الثاني نلتقي بالسينية.

استهل ابن زيدون **رائيته** بالغزل مجاراة للشعراء القدامى، وخير من يتغزل بها حبيبته ولادة بنت المستكفي بالله ومطلعها[٤٥]: من البسيط

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر

وبعد هذه المقدمة الغزلية التي عبر فيها الشاعر عن معاناته في السجن، يتوجه بالحديث إلى الحُسّاد والشامتين بأن السجن لا يعيبه ولا ينقص من قدره، فالأشجار الباسقة هي التي تعصف بها الرياح، والشمس والقمر دون بقية النجوم يحدث لهما الكسوف والخسوف، وأنه مهما طال إيداعه في السجن فلابد أن يخرج في يوم ما: من البسيط

لا يهنئ الشامت المرتاح خاطره أني معنّى الأماني ضائع الخطر

هل الرياح بنجم٤٦ الأرض عاصفة؟ أم الكسوف لغير الشمس والقمر؟

إن طال في السجن إيداعي فلا عجب قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

وبعد أن يقدم بعض المبررات لسجنه يلتفت إلى أبي الحزم يعتذر إليه لينال عطفه ويكسب وده، "فيلتمس له بعض العذر في إطالة أمد سجنه، ويحمل القدر هذه التبعة دونه،"[٤٧] فأبو الحزم بن جهور بالنسبة للشاعر ملجأه وملاذه، فكيف يحمل الشاعر أوزار ذنوب لم يرتكبها، آملاً التأني والعفو من أبي الحزم، فيمدحه بأبيات يذكر فيها مناقبه، وكيف تحولت حياة الشاعر من السعادة إلى الشقاء، "ويذكّر الشاعر أميره بما كان عليه من رفيع المنزلة في سلم الوجاهة، وما صار إليه من التمرغ بحمأة المذلة والمتربة،"[٤٨] ثم يتشوق الشاعر إلى عطف أبي الحزم ورضاه: من البسيط

وإن يثبط أبا الحزم الرضا قدر عن كشف ضري فلا عتب على القدر

ما للذنوب التي جاني كبائرها غيري، يحملني أوزارها وزري؟

---

[٤٥] السابق: ٢٥٠.

[٤٦] النجم: النبات الذي لا ساق له. المعجم الوسيط، ٢/ ٩٠٥.

عمر الدقاق: ملامح الشعر الأندلسي، ١٤٣.

[٤٨] نديم مرعشلي: ابن زيدون، دار الشرق الجديد، بيروت، ط١، ١٩٦١م، ص٦٦.

من لم أزل من تأنيه على ثقة ولم أزل من تجنيه على حذر
قد كنت أحسبني والنجم في قرن ففيم أصبحت منحطا إلى العفر؟
هل من سبيل فماء العتب لي أسن إلى العذوبة من عتباك والخصر
نذرت شكرك لا أنسى الوفاء به إن أسفرت لي عنها أوجه البشر

ثم يتوجه الشاعر إلى أبي الحزم لافتًا نظره ألا يتشاغل عنه فهو لا يطلب منه المستحيل؛ فهو لا يطلب منه الصبا لمن أوفى على المشيب، كل ما يتمناه الشاعر من مليكه أن يقبل عذره ويقيل عثرته، حتى وإن أخطأ فليس معصومًا من الخطأ، أو محصنًا من الزلل، لأنه من البشر، وكل البشر خطاؤون، فالحلم والإغضاء عن الصغائر زينة السيادة، كما أن الحياء زينة البهاء والحسن:

لا تله عني فلم أسألك معتسفا ردّ الصبا بعد إيفاء على الكبر
هبني جهلت فكان الجهل سيئة لا عذر منها سوى أني من البشر
إن السيادة بالإغضاء لابسة بهاءها، وبهاء الحسن في الخفر

وبعد هذا المدح، والتقرب من الحاكم، والاعتذار إليه، والإلحاح في طلب العفو والشفاعة التي إن منحها الأمير للشاعر، وتكرم بها عليه، يكون كمن يحيا في وطنه بين أصحابه وأهله متمنيا السعادة والنعيم لأميره في الدنيا، وبجنة النعيم في الآخرة:

لك الشفاعة لا تثني أعنتها دون القبول بمقبول من العذر
والبس من النعمة الخضراء أيكتها ظلا حراما على الآفات والغير
نعيـم جنة إن هي انصرمت نعمت بالخلد في الجنات والنهر

وأما **اللامية** فلا تقل عن الرائية جودةً وإتقانًا، ويبدو أنها أولى قصائده حيث "نظمها الشاعر في مفتتح حياته التعسة،"[٤٩] ويستهلها بقوله[٥٠]: من الطويل

ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي ويطلب ثأري البرقُ منصلتَ النصل
وهلا أقامت أنجم الليل مأتما لتندب في الآفاق ما ضاع من تتلي
ولو أنصفتني وهي أشكال همتي لألقت بأيدي الذل لما رأت ذلي

[٤٩] شوقي ضيف: ابن زيدون، ص٦٠.

[٥٠] ديوان ابن زيدون، ٢٦١، والتتل ضرب من الطيب

وبعد هذه المقدمة التي بثّ من خلالها مشاعره وعواطفه للطبيعة طالبًا منها أن تشاركه صعابه ومآسيه يتوجه الشاعر إلى مدح ابن جهور عاتبًا عليه إهماله رسائله وأشعاره التي يحثه فيها على العفو عنه وإطلاق سراحه وهذه غايته التي يتشوق إليها كما تتشوق الأرض إلى ماء السحب:

أفي العدل أن وافتك تترى رسائلي فلم تتركن وضعا لها في يدي عدل

أعـدّك للجلـي وآمـل أن أرى بنعماك موسوما وما أنا بالغفل

وما ذاك وعد النفس لي منك بالمنى كأني به قد شمت بارقة المحل

ثم يعتذر الشاعر عما بدر منه فهو لم يرتكب إثمًا عظيمًا أو جريرةً لا تُغتفر وإنما كان ذنبه نزوة من نزوات الشباب يجب أن يغفرها الأمير ويعفو عن الشاعر مفندًا ما ادعاه الوشاة من إثم أوغروا به صدر الأمير: من الطويل

ولو أنني واقعت عمدا خطيئة لما كان بدعا من سجاياك أن تملى

ومثلي قد تهفو به نشوة الصبا ومثلك من يعفو وما لك من مثل

وإني لتنهـاني نهاي عن التي أشاد بها الواشـي ويغقلني عقلي

هي النعل زلت بي فهل أنت مكذب لقيل الأعـادي إنها زلة الحسل

ثم يطمع الشاعر في عفو الأمير طالبًا منه الصفح والغفران والعفو وإطلاق سراحه وعودة العلاقات بينهما كما كانت من قبل وإن لم يستجب الأمير فيكفيه الخروج من السجن والرحيل إلى بلاد بعيدة.

والملاحظ في استعطاف الشاعر في هذه القصيدة أنه استعطاف المفتخِر بنفسه، المحافِظ على كرامته، حيث "ظهر بنفس كبيرة، حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جهور، فكان عاتبًا أشدّ منه مادحًا،"[٥١] ولذلك لم يستجب ابن جهو لاعتذار الشاعر وتوسلاته، وأصر على إبقائه في محبسه.

ولما لم يجد الشاعر نتيجة لاعتذاره واستعطافه من قبل ابن جهور وأحس أن جهوده في التوسل والاستعطاف قد باءت بالفشل لجأ إلى طريقة أخرى وهي مخاطبته عن طريق وسيط يتوسط له ويتشفع له، وخير وسيط هو صديقه "أبو الحفص بن برد"[٥٢] الذي خاطبه بسينية مطلعها[٥٣]: من الرمل مجزوء

ما على ظني باس يجرح الدهر وياسو

[٥١] أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٣٨م، ص٧١.

[٥٢] أبو حفص بن برد وزير وكاتب وشاعر ومن أشهر رسائله (السيف والقلم).

[٥٣] ديوان ابن زيدون، ص٢٧٣.

وفيها زفرة حرّى ينفثها الشاعر من محبسه، حيث لاذ في هذا الضيق بصديقه أبي حفص، وناجاه على البعد شارحًا إليه حاله، وما يعانيه من مرارة وأسى مُصوّرًا أصدقاءه بالتنكر له وخيانة العهد والابتعاد عنه، كما لو كان السامري "وهو الذي أضل بني إسرائيل، ودعاهم إلى الشرك لما خرج موسى عليه السلام لمناجاة ربه، فعاقبه الله بأنه لا يمس إنسانًا إلا أدركتهما الحمى معا،"[٥٤] فكان الناس يبتعدون عنه، وليس هذا فحسب وإنما انقلب بعض هؤلاء الأصدقاء ذئابًا ينهشون لحمه، يسألون عنه ويتحسسون أخباره: من الرمل المجزوء

أنـــا حـــيران وللأمـــ ر وضـــوح والتـــباس
ما ترى في معشر حا لوا عن العهد وخاسوا
ورأونـــي ســـامـــــريا يتقى منه المساس
أذؤب هامت بلحمي فانتهـاش وانتهـــــاس
كلهـم يسأل عن حـــا لي وللذئب اعتساس

فالشدة يعقبها الفرج، والعسر يتبعه اليسر، والماء يتفجر من الصخر، والغيوم تحبس الغيث، ثم تطلقه، والأسد الجريء يلبد ثم ينقضُّ على فريسته، ومن ثم فالأمل موجود في إجلاء هذه المحنة: من الرمل المجزوء

إن قسا الدهر فللمـــا ء من الصخر انبجاس
ولئن أمسيت محـــبو ساً، فللغيث احتبـــــاس
يلبد الورد السبنتـــــى وله بعـد افـــــــتراس

وفي نهاية السينية يخاطب الشاعر أبا حفص بن برد قائلاً له: "وأنت أيها الصديق كن لي كما كنت، وليبق ما بيننا من عهد مديدا دائما، بزهر الآس، لا كزهر الورد الذي سرعان ما يداهمه الذبول، ذاكرًا إياي في ساعات سعادتك،"[٥٥] فالحياة فرص يختلسها الإنسان فاغتنمها لخلاصي من هذه المعاناة: من الرمل المجزوء

لا يكن عهدك وردا إن عهدي لك آس
وأدر ذكـري كأسا ما امتطت كفك كاس

[٥٤] محمد رمضان الداية: مختارات من الشعر الأندلسي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦٩م،ص٧٨.
[٥٥] نديم مرعشلي: ابن زيدون، ص٨٠.

واغتنم صفو الليـالي إنما العيش اختلاس

وعسى أن يسمح الدهـ ر فقد طال الشماس

وبعد كل هذه المحاولات من الشاعر متمثلةً في الاعتذار تارةً، والاستعطاف تارةً أخرى مع أبي الحزم بن جهور، أو أبي حفص بن برد، ظل الشاعر في محبسه حتى استطاع بعد بضعة عشر شهرًا في غياهب السجن أن يتمكن من الهرب على الرغم من الحراسة المشددة عليه.

المبحث الثالث: الموازنة بين الشاعرين

يتضح من دراستنا في المبحثين السابقين أن قصيدة الاعتذار والاستعطاف قد نالت حظًا وافرًا من إنتاج الشاعرين، وسنحاول هنا أن نعقد موازنة بين الشاعرين اللذين أجادا في هذا الفن من الشعر العربي القديم.

أما النابغة الذبياني فهو شاعر جاهلي، وقدمنا له في هذه الدراسة ثلاث قصائد حول الاعتذار والاستعطاف، وأما ابن زيدون فهو شاعر أندلسي من شعراء ملوك الطوائف، وقدمنا له –في هذا المجال– ثلاث قصائد أيضًا من جيد أشعاره.

ومن خلال دراسة قصيدة الاعتذار والاستعطاف بين الشاعرين يتضح لنا أن:

أولاً: قصائد الاعتذار والاستعطاف التي صدرت عن الشاعرين قد وجهت إلى الحاكم مباشرةً باستثناء سينية ابن زيدون التي وسّط فيها أبا حفص بن برد بينه وبين ابن جهور. وكان اعتذار الشاعرين واستعطافهما نابعًا من الذات الشاعرة؛ بمعنى أن كلا منهما اعتذر واستعطف لنفسه لا لغيره. فالنابغة الذبياني يعتذر إلى النعمان بن المنذر ويستعطفه لينال العفو والصفح بعد غضبه عليه، وربما نال مراده، وأما ابن زيدون فقد استعطف ابن جهور ليعفو عنه ويسامحه بعد أن نقم عليه ولكن دون جدوى.

ثانيًا: ارتبط فن الاعتذار والاستعطاف لدى الشاعرين بفن المدح، فكلاهما مدح الحاكم بأسلوبه الخاص ليستميل قلبه وينال العفو والمسامحة. فقال النابغة في النعمان[٥٦]: من الطويل

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتـأى عنك واسع

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنيـــة قاطع

أبى الله إلا عدلـه ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

[٥٦] ديوان النابغة، ص٣٢ وما بعدها

فهو يمدحه بالقوة والشجاعة والكرم والسخاء والقدرة على البطش، ومع ذلك فهو يتصف بالعدل والوفاء والعفو والمسامحة.

ويقول فيه أيضًا[٥٧]: من الطويل

ألم تر أن الله أعطاك سورة يرى كل ملك دونها يتذبذب

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فالنابغة يعرف نفسية الملوك جيدًا، ومن ثم يتحسس طريقه إلى قلب النعمان ليستل منه الغضب ويلتمس العفو، فيجعله شمسًا وبقية الملوك كواكب، فإذا ظهر حجب الملوك الآخرين، "ومناط الجمال في هذا المدح هو براعة النابغة في حبك الصنعة الشعرية التي ترضي الممدوح وتهز أعطافه،"[٥٨] وقد قرظ الحطيئة الشاعر المشهور في مجلس سعيد بن العاص البيت الثاني، وقدم النابغة من أجله[٥٩]، كما عده المبرد من عجيب التشبيه[٦٠].

وأما ابن زيدون فقد مدح أبا الحزم بن جهور في كثير من قصائده حيث يقول فيه[٦١]:

أأنكث فيك المدح من بعد قوة فلا أقتدي إلا بناقضـــة الغزل٦٢

وما لي لا أثني بآلاء منعم إذا الروض أثنى بالنسيم على الطل

فمن غير المعقول أن يرتكب ما زعمه الأعداء، أو ادعاه الوشاة، فعقله ينهاه عن ارتكاب ما زعمه هؤلاء، كما ينهاه عن اتخاذ ناقضة الغزل قدوة له، فلا يعقل أن ينقض الشاعر القصائد التي مدح بها ابا الحزم بن جهور بذنب مشين، أو يقابل إحسان أبي الحزم ونعمه عليه بإساءة.

ثالثًا: كان الوشاة والحاقدون عاملاً مشتركًا بين الشاعرين والحاكمين، فقد عكروا بينهما مياه الصفو، وكانوا سببًا في إثارة الغضب والقطيعة، فبنو قريع عند النابغة هم من أوغروا صدر النعمان عليه، وقد دفعهم ذلك البغضُ والحسدُ لما وجدوه من مكانة كبيرة للنابغة عند النعمان، فقد جاؤوه بحديث ملفق

---

[٥٧] السابق، ص٧٢.

[٥٨] صلاح الهادي: أمراء الشعر في العصر الجاهلي، ص٢٩٦.

[٥٩] ينظر: طبقات ابن سلام، ١/ ١٢١.

[٦٠] المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ٢/ ٣٦.

[٦١] ديوان ابن زيدون، ٢٧٠

[٦٢] إشارة إلى الآية الكريمة "ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا". النحل ٩٢.

كالثوب المهلهل، لا بحديث صادق، ومن ثم يندفع النابغة ليؤكد للنعمان بأن هذا الحديث لم يكن ليقوله ولو أرغم عليه ويقسم على ذلك[٦٣]: من الطويل

لعمري وما عمري علي بهين لقد نطقت بطلا علي الأقارع
أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع
أتاك امرؤ مستبطن لي بغضة له من عدو مثل ذلك شافع
أتاك بقول هلهل النسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع
أتاك بقول لم أكن لأقوله ولو كبلت في ساعدي الجوامع

وأما وشاة ابن زيدون فقد نعتهم في أكثر من موضع، فيقول مثلاً[٦٤]: من البسيط

لا يهنئ الشامت المرتاح خاطره أني معنى الأماني ضائع الخطر

ومرة أخرى يقول عنهم مخاطبًا أبا حفص بن برد[٦٥]: من مجزوء الرمل

مـا ترى في معشـر حـــا لوا عن العهد وخاسوا
ورأونـــي سامـــــــــري يتقـى منه المساس
أذؤب هامـــت بلحمـي فانتهـاش وانتهاس
كلهم يســأل عــن حـــا لي وللذئب اعتساس

فابن زيدون في كل قصائده الاستعطافية يحمل على الوشاة والحاسدين لأنه سجن بسبب دسائسهم، حيث يقول فيهم أيضا[٦٦]: من الكامل

كان الوشاة وقد منيت بإفكهم أسباط يعقوب وكنت الذيبا

ويقول عنهم أيضًا بعد أن رأى حقدهم عليه وحسدهم له فاتهموه بأمور باطلة لم يقم بها[٦٧]: من الطويل

بلغت المدى إذ قصروا فقلوبهم مكامن أضغان أساودها رقط
وقد وسموني بالتي لست أهلها ولم يمن أمثالي بأمثالها قط

---

[٦٣] ديوان النابغة، ٧٩.
[٦٤] ديوان ابن زيدون، ٢٥٠
[٦٥] السابق، ٢٧٣.
[٦٦] ديوان ابن زيدون، ٣٢٤
[٦٧] السابق، ٢٨٥

ويقول أيضًا[٦٨]:

وإني لتنهاني نهـاي عن التي أشاد بها الواشي ويعقلني عقلي
هي النعل زلت بي فهل أنت مكذب لقيل الأعادي إنها زلة الحسل

رابعًا: كانت بواعث الاعتذار والاستعطاف لدى الشاعرين مختلفة؛ فالنابغة الذبياني يبدي من التذلل والخضوع ما تأباه النفس العربية الأبية، ولكنه الحرص، وكم أذل الحرص أعناق الرجال، فقد كان يتقلب في نعيم النعمان بن المنذر، ويمدحه، لكنه تركه وذهب إلى الغساسنة، فمدحهم بأعظم الصفات وأجلها، ويشير إلى يوم حليمة الذي هزم فيه المناذرة شر هزيمة، وقتل ملكهم المنذر بن ماء السماء في ساحة المعركة، ومن ثم يقول النابغة[٦٩]: من الطويل

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
تورثن من أزمان يوم حليمة إلى اليوم قد جربن كل التجارب

فالغساسنة على حد تعبير النابغة ذوو بأس وقوة، شجعان لا يعرفون الهزيمة، إذا انطلقوا إلى الحرب حلقت فوقهم الطيور الجارحة طمعًا بجثث القتلى من أعدائهم[٧٠]، ثم يأتي بصورة رائعة ظاهرها ذم وباطنها مدح شديد، فالغساسنة لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مفللة من طول مقارعتها لكتائب الأعداء

يعلم النعمان بهذا المديح فيغضب على النابغة غضبا شديدا وخاصة بعد إشارته ليوم حليمة ويستغل الحساد والوشاة هذا الغضب ليوغروا صدر الملك عليه فزعموا أن النابغة هجا النعمان أثناء مديحه للغساسنة.

وعندما أراد النابغة أن يعود إلى بلاط النعمان أدرك ما نسجه الوشاة ضده، فأراد أن يدافع عن نفسه، ويعتذر عما بدر منه، ويستعطف النعمان لينال عفوه، فقال هذه القصائد الثلاث التي عرفت باسم (الاعتذاريات).

وأما بواعث الاستعطاف والاعتذار لدى ابن زيدون تجاه ابن جهور فيمكن أن تعود لأسباب كثيرة، أجملناها فيما سبق، ولكن الباعث الأهم هو ما أثاره الحاقدون والوشاة، حيث زعموا أن ابن زيدون تتعطش نفسه للمجد، يريد أن يقصي ابن جهور من الحكم، وينقلب عليه، ويستخلص الأمر لنفسه، ويعتلي كرسي

---

[٦٨] السابق، ٢٦٣

[٦٩] شرح ديوان الديوان، قدم له وعلق عليه سيف الدين بركات وأحمد عصام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت ط١، ١٩٨٩م، ص١٠.

[٧٠] شوقي ضيف: تاريخ الشعر العربي– العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، د.ت، ط٧، ص٢٨٤.

الرئاسة، فانقلب عليه ابن جهور ووضعه في السجن الذي ظل فيه ابن زيدون بضعة عشر شهرا يستعطف ابن جهور، ولكنه استعطاف الأبي المحافظ على كرامته، المفتخر بنفسه "وظهر بنفس كبيرة، حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جهور، فكان عاتبا أشد منه مادح"[٧١] ولعل هذا من الأسباب التي جعلت ابن جهور لا يستجيب لتوسلات الشاعر واستعطافات، وقد أشاد ابن زيدون بأخلاق ابن جهور وأفعاله، فهويمدحه بصفات كان ابن جهور يتصف بها ومنها[٧٢]: من البسيط

وزير سلم كفاه يمن طائره شؤم الحروب ورأي محصد المرر

أغنت قريحته مغنى تجاربه ونابت اللمحة العجلى عن الفكر

فابن جهور الذي نقف على ملامحه في قصيدة ابن زيدون هو الذي عرفناه في حقيقة صفاته وسجاياه من خلال كتب الأدب والتاريخ، فهو رجل سلام حيث جنب قومه كثيرًا من سفك الدماء، ولم يكن ابن جهور رجل سياسة حين حمله الناس إلى كرسي الرئاسة، فقد أغناه ذلك عن الممارسة الطويلة، كما كفته وقدة ذهنه وذكائه عن رؤية تقليب الرأي وإعمال الفكر.

خامسًا: الخطأ أو الذنب الذي اقترفه الشاعران في حق الحاكمين، وعلى إثره حدثت القطيعة، فالنابغة من وجهة نظره لم يرتكب ذنبًا أو جريمةً تستحق العقاب، ويقسم على ذلك بأغلظ الأيمان، بينما يترك النعمان مَن ظلمه يرتع في نعماه، ويتمتع بعطفه وحماه، ويضرب النابغة مثلاً لما حدث له ومع أعدائه بهذا البعير الصحيح الذي يكوى بالنار، بينما يترك البعير الأجرب راتعًا في دعة وأمن[٧٣]: من الطويل

لكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العر يكوى غيره وهو راتع

ويدافع النابغة عن نفسه مرة أخرى حيث يحلف بالله إنه بريء مما رمي به زورًا وبهتانًا ليزيل الشك من قلب النعمان ويجعله يؤمن ببراءته من تلك الخيانة التي نسبت إليه وجاء بها أغش الناس وأكذبهم[٧٤]: من الطويل

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب

---

[٧١] أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس، ص٧١.

[٧٢] ديوان ابن زيدون، ٢٥٦

[٧٣] ديوان النابغة، ص٣٢

[٧٤] السابق، ٧٢

أما ابن زيدون فيقر ويعترف بما اتهم به، ويبرر لهذا الجهل، أو تلك الخطيئة بأنه من البشر[٧٥]: من البسيط

هبني جهلت فكان الجهل سيئة لا عذر منها سوى أني من البشر

أو قوله[٧٦]: من الطويل

ولو أنني واقعت عمدا خطيئة لما كان بدعا من سجاياك أن تملي

فلم أستثر حرب الفجار ولم أطع مسيلمة إذ قال إني من الرسل

ومثلي قد تهفو به نشوة الصبا ومثلك من يعفو وما لك من مثل

فابن زيدون يتوجه بالحديث إلى ابن جهور قائلاً: افرض أنني ارتكبت خطأ أو سيئة، فعذري أنني من البشر، فالوشاة قد أوغروا صدر أبي الحزم عليه، مع أنه لم يرتكب جريرة لا تُغتفر، فلم يطع مثلاً مسيلمة الكذاب لما قال إنه رسول، وإنما كان ذنبه نزوة من نزوات الشباب التي ينبغي أن يغفرها أبو الحزم ويعفو عنها.

سادسًا: لم يلتزم الشاعران ببحر واحد في قصائد الاعتذار والاستعطاف، فالنابغة في اعتذارياته الثلاث ينظم العينية والبائية على بحر الطويل، وينظم الدالية على بحر البسيط. "وكان أبو بكر رضي الله عنه يقدم النابغة، ويقول: هو أحسنهم شعرًا، وأعذبهم بحرًا، وأبعدهم قعرًا."[٧٧] وأما قصائد ابن زيدون في الاعتذار والاستعطاف فقد نظم اللامية على بحر الطويل، والرائية على بحر البسيط، وجاءت السينية التي خاطب بها أبا حفص بن برد على بحر مجزوء الرمل، فقصر البحر ورشاقة القافية وحرارة التجربة وصدق المعاناة قد أضفى على السينية رونقًا وجمالاً. وكأن الشاعرين اشتركا في بحري الطويل والبسيط لينفسا عما كانا في قلوبهما من كبت وحزن. وأما القافية فقد اختلفت في القصائد الست.

سابعًا: يعتمد الشاعران على الخيال التقليدي، والصور الجزئية، فالنابغة الذبياني يصور خوفه الشديد من النعمان وبطشه وهو شيء معنوي بصورة حية ضئيلة رقشاء شديدة السم، يحذر الراقون من سوء سمها[٧٨]: من الطويل

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكس فالضواجع

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

---

[٧٥] ديوان ابن زيدون، ص ٢٦٠

[٧٦] السابق، ص ٢٦٩

[٧٧] ابن رشيق: العمدة، ١/٦٠.

[٧٨] ديوان النابغة، ص ٣٢ وما بعدها

يسهد من ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طورا وطورا تراجع

فمعرفة النابغة بنفسية النعمان التي يستهويها التملق والخضوع والتذلل هي التي أوحت إليه بهذه الصورة المخيفة، حيث تحول وعيد النعمان في خيال الشاعر إلى أفعى، تتصف بصفات الفتك والشراسة، وإمعان النابغة في هذا الوصف يبين ما احتواه من ألم جسمي ونفسي في آن واحد، فالأفعى هنا هي أفعى الهموم والمخاوف والتهديد، وكل ذلك ليدلل على رغبته في الاعتذار والتملق والاستعطاف ليرضي غرور النعمان ويستميل قلبه.

وهناك صورة أخرى في القصيدة نفسها لهؤلاء الوشاة الحاقدين، فقد صورهم بصورة القرود التي تميل بطبعها إلى المشاكسة والشر، فوصفهم النابغة بلفظة "تجادع":

أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع

فقد شبه خصومه في هذه الصورة بصورة القرود المنفرة الكريهة المشاكسة ليقنع النعمان بقبح سعايتهم وبطلانها.

بيد أن هناك صورة رائعة تصور قلق النابغة وحزنه وخوفه من النعمان حيث جعله كالليل الذي يدركه لا محالة، فتبعث هذه الصورة في نفسية النابغة العجز والاستسلام وهذا ما يستهوي النعمان ويطربه لاستشعاره شدة سطوته ورهبة الناس منه:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وفي موضع آخر يصور النابغة حالته النفسية التي أسلمته للهموم، وحرمته نعمة الهدوء والطمأنينة، عندما بلغه أن النعمان عاتب عليه غاضب منه[٧٩]: من الطويل

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنضب

فبت كأن العائدات فرشنني هراسا به يعلى فراشي ويقشب

ومن تشبيهات النابغة الرائعة التي استحسنها المبرد وعدها من أعجب التشبيه[٨٠]:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد إليـــك نوازع

ومن تشبيهاته الخالدة أيضًا:

[٧٩] ديوان النابغة، ص ٧٢.

[٨٠] الكامل، ٣٦/٢.

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

"وحسْب النابغة أنه بهذا التصوير الذي يبث المشاركة الوجدانية في التجربة، والتعبير المتخير المصقول أن يكون شاعر الرهبة والخوف الذي استطاع أن ينقل تجربته من نفسه إلى نفوس قرائه عبر الزمن، فخلد شعره وتجربته.[٨١]"

وكما عالج النابغة تجربته بهذا التصوير الجيد، استخدم أيضًا المثل من واقع حياة الجاهليين الذين كانوا يداوون البعير الأجرب بِكَيّ البعير الصحيح، فكأنهم كانوا يعاقبونه على ذنب ارتكبه غيره: من الطويل

لكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العر يكوى غيره وهو راتع

ويبهرنا النابغة الذبياني، ويخلب ألبابنا في بعض أبيات اعتذارياته، حيث أصبحت تجري مجرى الأمثال، ويتمثل به كل من عانى موقف النابغة كالحجاج بن يوسف الثقفي حين سخط عليه عبد الملك بن مروان[٨٢]: من البسيط

أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد

وفي صورة أخرى لا تقل عن سابقتها جودة، حيث يتشبه النابغة بالبعير الأجرب إمعانًا في تصوير واقعه النفسي، وما يشعر به من عزلة وانطواء؛ فالناس يفرون منه ويستشعرون الخوف من قربه: من الطويل

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب

فقد رأى النابغة الوعيد والتهديد والخوف جربا، كما رآه من قبل حية ضئيلة رقشاء، وفراش شوك نام عليه.

وأما ابن زيدون فقد تجلى خياله التقليديّ في قصيدة الاعتذار والاستعطاف لديه وخاصة رائيته، حيث صَوّر الليل بكائن حيّ لم يبق منه إلا ذماء، والشبيبة بدوحة وارفة الظلال، وتشبيهاته البليغة التي اعتمدت على إضافة المشبه به إلى المشبه مثل برد الشباب، وبرق المشيب، وكذلك التشبيه الضمني الذي يقارن فيه نفسه وقد غدا نزيل السجن بالسيف وقد أوى إلى غمده[٨٣]: من البسيط

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر

ولا استطلت ذماء الليل من أسف إلا على ليلة سرت مع القصر

---

[٨١] صلاح الهادي: أمراء الشعر في العصر الجاهلي، ص٢٨٠.

[٨٢] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٠.

[٨٣] ديوان ابن زيدون، ص ٢٥٠

إن طال في السجن إيداعي فلا عجب قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

ويستهل ابن زيدون لاميته بالتماس الرحمة من كائنات جديرة بمشاركته عواطفه ومشاعره؛ فالغمام يبكي على مصابه، ويطالب البرق بثارات حقه المهضوم، وأنجم الليل تقيم المآتم، نادبة ما تعرض له الشاعر من سجن وعناء، ولو أنصفته هذه النجوم التي هي كفؤ لهمته لتهاوت من أبراجها، لما ناله من ذل وضير[٨٤]: من الطويل

ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي ويطلب ثأري البرق منصلت النصل

وهلّا أقامت أنجم الليل مأتما لتندب في الآفاق ما ضاع من نثلي

ولو أنصفتني وهي أشكال همتي لألقت بأيدي الذل لما رأت ذلي

ثم يخاطب أمه الساهرة العينين همًّا وغمًّا خوفًا على مصيره وإشفاقًا لمآله، مذكرًا إياها بأنها ليست أول أُمّ تُفجع بفراق ولدها، وليكن لها في أُمّ موسى عبرة عندما ألقت بفلذة كبدها إلى اليم، راضيةً بحُكم الله مؤمنةً بقضائه[٨٥]: من الطويل

أقلّي بكاء لست أول حــرة طوت بالأسى كشحا على مضض الثكل

وفي أم موسى عبرة إن رمت به إلى اليم في التابوت فاعتبري واسلي

وفي السينية آثَرَ ابن زيدون عنصر التشبيه البليغ عندما جعل العهد وردا وآسا، أو عندما أضاف المشبه به إلى المشبه، نحو: سنا البرق، وغسق الخطب، ولعل أجمل ألوان التشبيه التي رفعت فنية القصيدة التشبيهات الضمنية الآتية[٨٦]: من مجزوء الرمل

كلهم يسأل عن حا لي وللذئب اعتساس

إن قسا الدهر فللما ء من الصخر انبجاس

ولئن أمسيت محبو سا فللغيث احتباس

ولعلنا نلاحظ بعد عرض الصورة الشعرية عند النابغة وابن زيدون، أن الشاعر الجاهليّ فد فاق بمراحل شاعر الأندلس، حيث برع في تصوير مخاوفه، ورهبته من النعمان بصور كثيرة بيّنّاها فيما سبق، بينما لم نرَ ذلك عند ابن زيدون لاعتداده بنفسه وفخره بمجده، والحقيقة أنّ النابغة الذبياني يتفوق في هذا المجال،

[٨٤] السابق، ص ٢٦١

[٨٥] محمد جاسم: شعرالاستعطاف في الأندلس، ص٣٦.

[٨٦] ديوان ابن زيدون، ص٢٧٣

ولذا "كان عمر بن الخطاب ممن يتذوقون شعر النابغة، ويثنون عليه، ويُروى أنه كان يعده أشعر شعراء غطفان."[٨٧]

ثامنًا: بالنسبة للمعجم الشعري، واللغة، والأسلوب بين الشاعرين في قصيدة الاعتذار والاستعطاف، فبينهما بون شاسع، حيث يتمتع النابغة بألفاظ جزلة وعبارات متينة، حتى قال عنه ابن سلام الجمحي: وقال من احتج للنابغة: كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتًا، كأن شعره كلام ليس فيه تكلف."[٨٨]

والمتأمل في قصائده الثلاث السابقة موضع الدراسة يلاحظ أنه يستخدم اللغة بدقةٍ متناهية، حيث يكثر من القسم والحلف؛ فتارةً يقسم بحياته التي لا يقسم بها إلا صادقًا لأنها غالية عليه، غير هينةٍ عنده، بأنّ بني قريع كاذبون آثمون: من الطويل

لعمري وما عمري علي بهين لقد نطقت بطلا علي الأقارع

أو يبرئ نفسه أمام النعمان من الحاقدين الحاسدين الذين افتروا عليه كذبًا وزورًا بحديثٍ ملفق لم يَكُن ليقوله، ويقسم على ذلك ليؤكد للنعمان أنه بريء، ليزيل كل ظل للشك في براءته، لأنه قسم من رجل متدين؛ يقسم بقوافل الحجيج القاصدين بيت الله الحرام، وقد تشعثت شعورهم، واغبرت وجوهم من طول السفر:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

بمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن إلالا سيرهن التدافع

عليهن شعث عامدون لحجهم فهن كأطراف الحني خواضع

وفي بائيته يحلف النابغة بالله إنه بريء مما رُمي به زورًا وبهتانًا، وليس هناك أعظم من الله ليحلف به، حتى يظهر للنعمان إخلاصه، ويؤمن ببراءته من الخيانة التي نُسبت إليه، وجاءه بها دسّاس، هو أغش الناس وأكذبهم؛ لأنه لفق تهمًا باطلةً لا أساس لها من الصحة، ولا دليل عليها: من الطويل

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة أمبلغك الواشي أغش وأكذب

وكان حماد الراوية يعجب بشعر النابغة، ويقدمه على غيره من الشعراء، حتى قيل: سئل حماد بأي شيء فضل النابغة؟ فقال: إن النابغة إن تمثلت ببيت من شعره اكتفيت به، مثل قوله:

---

[٨٧] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٣٩. وكذلك ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، ٥٦/١.

[٨٨] السابقان: ص٣٨، ٥٦/١.

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

بل لو تمثلت بنصف بيت من شعره اكتفيت به، وهو قوله:"**وليس وراء الله للمرء مذهب**"، بل لو تمثلت بربع بيت من شعره اكتفيت به، وهو قوله:"**أي الرجال المهذب**"[٨٩].

ويتجلى الإبداع التعبيري في اختيار صيغ الأداء اللغوي المباشر في قوله:

ولكنني كنت امرءا لي جانب من الأرض فيه مسترّاد ومذهب

فقد تجلى في هذا الإبداع التعبيري دقة الصياغة، وعمق التأليف بين الحروف، وملابسة الألفاظ لمعانيها، فعبارة "**جانب من الأرض**" قوية الإيحاء بمشاعر النابغة نحو الغساسنة وديارهم، ثم تأتي عبارة "**فيه مسترّاد ومذهب**" لتبرز معاني الأمن والحرية والغبطة لهذا الجانب من الأرض. ويقول أيضا:

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكّم في أموالهم وأقرّب

فقد برع النابغة في اصطناع الوسائل التعبيرية لإبراز معانيه ومشاعره من خلال تعانق المعاني في (إخوان- أحكم- أقرب).

فمعجم الشاعر في قصيدة الاعتذار والاستعطاف يتجلى في ألفاظ كثيرة تدور حول: (أتاني- أبيت اللعن-أنبئت- أوعدني- وعيد- أتوعد- لعمري- حلفت- أبو قابوس النعمان بن المنذر-الوشاة- أتاك امرؤ مستبطن..الخ).

وأما ابن زيدون فقد دار في لغته وألفاظه في فلك الأقدمين، فألفاظه في موضوع الاعتذار والاستعطاف جزلة وقوية ومتينة، لكنه في كثير من الأحيان يتناص مع التاريخ ويستدعي شخصيات تراثية، وهذا وإنْ دل فإنما يدل على ثقافة ابن زيدون، فقد أشار في سينيته إلى ذكاء إياس في أخبار العرب، وإلى قصة السامري في أسفار بني إسرائيل[٩٠]: من مجزوء الرمل

يا أبا حفص وما سا واك في فهم إياس
من سنا رأيك لي في غسق الخطب اقتباس
ما ترى في معشر حا لوا عن العهد وخاسو
ورأوني ســامريا يتقى منه المساس

[٨٩] ابن رشيق: العمدة ١٩١/١، والأغاني ١٥٦/٩، شعراء النصرانية ٦٥٦.

[٩٠] ديوان ابن زيدون، ص٢٧٣

أو يشير إلى حرب "الفجار" التي نشبت بعد عام الفيل بين قريش وهوازن، وسميت بذلك لأنها وقعت في الأشهر الحرم، كما يشير في البيت نفسه إلى مسيلمة الكذاب وادعائه النبوة؛ ليبرئ نفسه من قول الوشاة، وأنه لم يرتكب جريرة لا تغتفر: من الطويل

فلم أستتر حرب الفجار ولم أطع مسيلمة إذ قال: إني من الرسل

أو يقتبس من القرآن في قوله:

أأنكث فيك المدح من بعد قوة فلا أقتدي إلا بناقضة الغزل

فهو يشير إلى آية النحل (٩٢) التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى:" ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا". أو يخفف من قلق أمه وخوفها عليه مذكرا إياها بأم موسى التي ألقت بفلذة كبدها إلى اليم راضية بالقضاء والقدر: من الطويل

أقلي بكـاء لسـت أول حرة طوت بالأسى كشحا على مضض الثكل

وفي أم موسى عبرة إن رمت به إلى اليمّ في التابوت فاعتبري واسلي

وقد يعتمد الشاعر في ألفاظه على الثنائية الضدية، فيستسلم لمشيئة الأقدار ملبسا الدهر وشاحا قاتما من التشاؤم، فالدهر قلب؛ يجرح ويأسو والمرء فيه كريشة في مهب الريح: من مجزوء الرمل

ما على ظني باس يجرح الدهر وياسو

وأغلب الظن أن طابع المرارة الذي يسم أبيات السينية كان مبعثه معاناة الشاعر لصنوف العذاب الجسماني والنفساني في سجنه، فقد تعرض الشاعر لآلام نفسية، زادته هموما على هموم، حتى أن الحاكم منع عنه الزوار والعواد، وانتهى به المآل إلى السجن مع المجرمين والسفلة وقطاع الطريق:

قد كنت أحسبني والنجم في قرن ففيم أصبحت منحطا إلى العفر؟

هذا إلى جانب شماتة الحساد وتنكر الأصدقاء فانقلبوا عليه في محنته ينهشون لحمه، مما أثر في نفسيته حتى أصبحت مثقلة بالهموم.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف، وبعد تحليل قصائد الاعتذار والاستعطاف عند النابغة الذبياني وابن زيدون، تبين لنا ما يلي:

- يعد النابغة الذبياني أكثر من أجاد في هذا الفن، وذلك عندما سمع وعيد النعمان له دافع عن نفسه بثلاث قصائد عرفت باسم (الاعتذاريات)، وتكاد تكون طريقته واحدة في القصائد الثلاث،

حيث يُصوّر سوء حاله وهمّه وغمّه عندما وصله وعيد النعمان، ثم يحمل على الوشاة المفسدين الذين أوقعوا بينه وبين النعمان، ويحلف بالأيمان الوثنية أن ما اتهم به كان باطلاً.

- جاء الشعراء بعد النابغة فساروا على نهجه في الاعتذار والاستعطاف ومنهم ابن زيدون في عصر ملوك الطوائف بالأندلس، حيث أوقع الوشاة والحساد بينه وبين أبي الحزم بن جهور فوضعه في السجن، ومنه استعطفه، وتحامل على الوشاة.
- كانت أشعار الاعتذار والاستعطاف لدى الشاعرين موجهة إلى الحاكم مباشرة باستثناء سينية ابن زيدون الذي خاطب الحاكم عن طريق وسيط هو أبو حفص بن برد.
- اتسمت قصائد الاعتذار والاستعطاف لدى الشاعرين بالذاتية، حيث يستعطف الشاعر لنفسه لا لغيره.
- كانت بواعث الاعتذار والاستعطاف عند الشاعرين مختلفة؛ فالنابغة في بلاط الغساسنة، بعيد عن النعمان بن المنذر وعصافيره، ويريد أن يعود إليه، طامعا في عطاياه، كما يريد أن يبرئ نفسه من التهم التي ألصقت به عن طريق الوشاة والحاقدين. وأما ابن زيدون فسولت له نفسه اعتلاء عرش قرطبة فزج به إلى السجن فأراد أن يعتذر إلى ابن جهور ويستعطفه أملاً في الخروج من السجن والعودة إلى الحياة مرة أخرى ولكن هيهات هيهات.
- أصاب الشاعرين آلام جسمية ونفسية كثيرة جراء غضب الحاكمين عليهما.
- تفوق النابغة على ابن زيدون في لغته وأساليبه وصوره وأخيلته التي عبرت عن تجربته وما عاناه من آلام جسدية ونفسية، حتى أنه نال مدحًا كثيرًا من النُقّاد القدامى، وعدوه قدوة في هذا الفن. بينما تعامل ابن زيدون مع الشخصيات التاريخية والدينية واستدعائها في شعره تعاملاً جيدًا يَنُمّ عن ثقافته الدينية والتاريخية. وكانت لغته وصوره وموسيقاه سهلة بسيطة لا تحتاج إلى كد أو تعب أو مجهود.

المصادر والمراجع

- إبراهيم أبو خشب: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٦٦م.
- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، (د.ت).
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر.
- ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١.
- ابن الأثير :الكامل في التاريخ ، طبعة بيروت ١٩٦٥م.

- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م
- ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٥م.
- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧م
- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، (د.ت).
- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤.
- ابن سيده: المخصص، ت خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت،١٩٩٦م.
- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف مصر، وطبعة السقا ١٩٣٢م.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣.
- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية.
- أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، ط١، دار الجيل، بيروت، (د ت،).
- أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٣٨م
- إيليا حاوي: النابغة الذبياني، بيروت، بلا تاريخ.
- جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط٢، (د.ت).
- حسن جاد حسن: ابن زيدون، عصره– حياته– أدبه، المطبعة المنيرية– مصر ١٩٥٥م.
- الحميدي: جذوة المقتبس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م .
- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت،(د.ت).
- خير الدين الزركلي: الأعلام دار العلم للملايين، بيروت، ط١١
- الذهبي: سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- رشا عبد الله الخطيب: تجربة السجن في الشعر الأندلسي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م.

- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، المكتبة الوقفية.
- سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- سيف الدين بركات وأحمد عصام الكاتب، شرح ديوان النابغة، دار مكتبة الحياة، بيروت ط١، ١٩٨٩م
- شوقي ضيف: ابن زيدون، دار المعارف، ط٩،(د.ت).
- شوقي ضيف: الشعر العربي- العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، د.ت، ط٧
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر،١٩٦٠م.
- صلاح الهادي: أمراء الشعر في العصر الجاهلي، مكتبة الشباب، المنيرة.
- الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م
- عبد العزبز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٧٦
- عبد الله أنيس الطباع: القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الدانية، دار ابن زيدون، بيروت، ط١، ١٩٨٦م
- عبد المجيد الحر: ابن زيدون، شاعر العشق والحنين، دار الكتب العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
- علقمة الفحل: ديوان علقمة الفحل، تحقيق سعيد نسيب مكارم، دار صادر، بيروت.
- علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، ط١، مكتبة دار التراث،١٩٩١م
- علي نجيب عطوي: النابغة الذبياني، شاعر المديح والاعتذار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١
- عمر الدسوقي: النابغة الذبياني، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥١م
- عمر الدقاق: ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرف، بيروت، ط١، ١٩٧٥م
- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، نشره كمال مصطفى، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٩م.
- لويس شيخو: شعراء النصرانية، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٢- ١٩٢٦م
- لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط٢٧.
- المبرد: الكامل في اللغة والأدب، طبعة دار العهد الجديد بالخرنفش، بلا تاريخ.

- محمد البادي: شعر ابن عمار الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم جامعة القاهرة.١٩٩٠.
- محمد جاسر: شعر الاستعطاف في الأندلس، رسالة ماجستير جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.
- محمد رمضان الداية: مختارات من الشعر الأندلسي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦٩م
- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين،بيروت، ط٥، ١٩٨٣م.
- النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
- نجيب عطوي: النابغة الذبياني، شاعر المدح والاعتذار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م
- نديم مرعشلي: ابن زيدون ، دار الشرق الجديد، بيروت، ط١، ١٩٦١م
- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ت)